الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عودة إلى الماضـي

الحلقة الواحد والستون

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات..... طرق على الباب..

محمد: ادخل..

أحمد: " حركة فتح الباب " سلام الله عليك يا أستاذ راضي.

محمد: وعليك السلام ورحمة الله.. تفضل..

أحمد: لا بأس.. سأعود إليك بعد قليل..

محمد: أنت لست غريباً يا أستاذ أحمد.. دقائق وأكون مستعداً للجلوس إليك.. ادخل..

أحمد: شكراً على كل حال.. فقد أتيتك دون ميعاد مسبق.

محمد: ليست بيننا مواعيد مسبقة. أنت تزورني هنا في بيتك.

أحمد: " فترة صمت " هل تعلم يا أستاذ محمد لماذا قصدت إليك مبكراً؟

محمد: يبدو لي أنني أعلم السبب.. فقد حالت ظروف أمس دون أن أقصّ ما بقي من حديث الماضي.. ولما كنت راغباً في الاستماع إلى بقيته فقد بادرتني بالزيارة.

أحمد: أحسنت يا عزيزي.. هل تعلم يا أستاذ راضي أن حادث أمس قد أثر فيّ؟

محمد: أشهد أن الأستاذ صالحاً رجل فاضل.. لقد كان مني ومن زملائي الطلاب كما يكون الأب من أبنائه.. كنا نعلم أنه لا يدع فرصة إلا ويستغلها لتوفير الخدمات الممكنة لنا. لكنه في الوقت نفسه كان يكثر من استعمال أذنه.

أحمد: فماذا تقصد من هذا التعبير؟

محمد: أولاً لا أقصد سوءاً.. كل ما في الأمر أنه رجل طيب والرجل الطيب عادة يتأثر بالعبارات الممجّدة والكلمات المنمّقة..

أحمد: هل تريد أن تقول أنه كان خاضعاً لتأثير الناظر؟

محمد: وكان الناظر من الرجال الذين يميلون إلى إرضاء أصحاب الوجاهة لأنه يحس بالضعف أمامهم. الخلاصة أن مصيري كان يمكن أن يتغير لو أن الأستاذ صالحاً أميل إلى تحليل ما يسمعه منه إلى التسليم به. لقد كان يحبني ما في ذلك ريب ولكنه كان في الوقت نفسه يصدق بأنني مشاكس وشرس.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضـان عبدالرحمن لاوند (سـيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

أحمد: " يضحك " وأنت ماذا كانت حقيقتك؟

محمد: الحقيقة يا أستاذ أحمد أنني كنت أعيش في خوف من المستقبل. كنت أشعر أنه لا قاعدة اجتماعية لي. كنت يتيماً من الأب وفقيراً. وكانت علاقتي بالناس محدّدة بعنصري الفقر واليتم. وهذه الحال جديرة بالضغط على النفس وإحداث التوتر المستمر في الأعصاب. لكنني في الوقت نفسه كنت مصمماً على المقاومة فأنجح تارة وأفشل تارة أخرى. هذا الصراع الداخلي جعلن وأنا فتى في أواخر العقد الثاني من العمر شديد الحساسية سريعاً إلى الغضب مع حرص على الصراحة وتمسك شديد بما أعتقد أنه حق لي يجب أن أحصل عليه.

أحمد: ولماذا تصر على وصف هذه الظاهرة في حياتك يا أستاذ راضي؟

محمد: ذلك لأن لها علاقة بالقسم الثاني من حياتي الخاصة.

أحمد: حسن جداً.. أما وقد بلغنا بداية القسم الثاني التي توقفنا عندها أمس فرجائي اليك أن تحدثني عنها وعما بعدها من الأحداث..

محمد: " فترة صمت " قلت لك أمس إن الاستاذ صالحاً قد طردني من لدنه، بالمناسبة كان اللقاء في منزله الصيفي، فخرجت لا ألوي على شيء وهو يطاردني بالصراخ والزعيق ويلحق بي. ولا أخفي عليك أنني شعرت شعوراً قوياً برغبته الخفية في إصلاح ما بيني وبينه. فلو كان يحتقرني حقاً ويسخر مني لما تابع صراخه ولما لحق بي إلى الخارج لكن يبدو أنه كبر عليه أن يتراجع وهذا الشيخ الكبير وأنا الفتى المراهق. وشاءت الظروف أن أستمر في الابتعاد عن منزله وأن أنقطع عنه بصورة نهائية..

أحمد: إذا كان هذا صحيحاً فلماذا لم ينتدب من قبله طرفاً ثالثاً يقنعك بالعودة إليه ومصالحته؟

محمد: لا تنسى يا أحمد أن الأستاذ صالحاً كان ذا مشاغل كثيرة جداً وكان جديراً بقضيتي أن تغرق في موج لجّي من مشاغله وهمومه. ثم لا تنسى أنه بشر. فقد عزت عليه نفسه لا سيما وأنني قلت له وأنا أغادر منزله: لن ترى وجهي بعد اليوم حتى أثبت لك بأنني في غير حاجة إليك وبأنني قادر على أن أفرض احترامي على الجميع..

أحمد: سبحان الله.. وبعد يا محمد؟

محمد: ومضت أيام وشهور واجهت فيها الدنيا وحيداً لا أملك شروى نقير ووجدت نفسي مسؤولاً عن أخوتي وأخواتي.. ثم تبين لي أن الشهادة التي أحملها غير معترف بها من قبل الحكومة. حتى كان يوم من الأيام..

نقلة موسيقية.. ضجة سيارات متقطعة في شارع.....

عبد الرحمن: من؟ محمد راضي؟

محمد: عبد الرحمن؟ مرحباً يا أخ عبد الرحمن؟

عبد الرحمن: أين أنت يا عزيزي؟ أربع سنوات تمضي لا نراك فيها؟ أين كنت كل هذه السنين؟

محمد: في أرض الله الواسعة..

عبد الرحمن: لكن هذه الأرض كما يبدو لي لم تحسن إليك.

محمد: إنه أمر الله يا عبد الرحمن.

عبد الرحمن: ونعم بالله.. أنا والله في شوق إليك! وكم تساءلت خلال السنوات الماضية عنك وسألت الزملاء أين عساي أجدك لكن أحداً لم يستطع أن يجيبني عن السؤال. هل غادرت البلاد؟

محمد: كلا بل غادرت المدينة بعد أن تسكعت في أحيائها وشوارعها وأسواقها عامين كاملين.

عبد الرحمن: وماذا كنت تفعل في أثناء ذلك؟

محمد: أعمل تارة.. وأعاني البطالة تارة أخرى.

عبد الرحمن: لكن.. لماذا تعاني البطالة وقد كان في وسعك أن تجد الوظيفة المناسبة؟

محمد: شهادتي غير معترف بها.. أما الدراسة الجامعية فقد توقفت من البداية كما تعلم.. وكانت بطالتي دائماً بسبب إقبالي على القراءة في أوقات الفراغ..

عبد الرحمن: عجيب؟! كيف ذلك يا محمد؟

محمد: كنت حريصاً على اصطحاب الكتاب حين أكون.. فإذا وجدت فراغاً ولو لنصف ساعة في أثناء العمل انتحيت جانباً ورحت أقرأ أو أحفظ فتثير قراءتي صاحب العمل فيخيرني بين البقاء دون قراءة أو ترك العمل أن أصررت على القراءة. ومن الطبيعي أن أصر على القراءة لأنني كنت أعتقد بأنه لا تعارض بين مصلحة العمل والقراءة في وقت معين. لكنها عقدة التجار.. إنهم يتوهمون أن القراءة في المحل التجاري علامة شؤم..

عبد الرحمن: وماذا بعد؟

محمد: عملت عند تاجر بالجملة.. وعند بائع خضروات.. كما عملت في مكتبة لبيع الصحف والمجلات وتوزيعها.. وأرغمتني الظروف في بعض الأوقات على أن أكون بائعاً متجولاً..

عبد الرحمن: لا حول ولا قوة إلا بالله..

محمد: ثم قررت مغادرة المدينة بحثاً عن مورد رزق دائم فوجدت هذا الرزق في بلدة مجاورة حيث احترفت حرفة التمديدات الصحية..

عبد الرحمن: إنك تدهشني حقاً بعنادك الغريب.

محمد: لا تندهش يا صاحبي.. المهم أنني قضيت سنتين متتابعتين أعمل فيها نهاراً وأدرس ليلاً وفي كل ساعة من ساعات الفراغ.. ثم تركت هذه الحرفة لأنني لم أخلق لها..

عبد الرحمن: والآن.. ماذا تعمل؟

محمد: " يضحك " أزرع الشوارع وأقيس الساحات العامة وأقلب النظر في البنايات حين أتعب من القراءة.

عبد الرحمن: حسن.. فهل تعمل في التدريس؟

محمد: وهل هناك سبيل إليه؟ الناس يا عبد الرحمن يسألونك عن الشهادة قبل كل شيء وأنا لا أحمل شهادة تسمح لي بممارسة التعليم.

عبد الرحمن: لكنني أفكر في مؤسسة تعليمية خاصة.. وصاحبها رجل واسع الأفق تهمّه الفاعلية لا الشهادات فدعني أحاول..

محمد: محاولتك ستكون مشكورة في كل حال..

عبد الرحمن: حسن.. أعطني عنوانك لأتصل بك.

محمد: لا أستطيع أن أعطيك عنوانا محدداً فأنا أسكن في كوخ متواضع في ظاهر المدينة.. الأحسن أن أتصل بك في وقت تحدده لي..

عبد الرحمن: كما تشاء.. اتصل بي على العنوان المسجل في هذه البطاقة.

محمد: شكراً لك..

نقلة موسيقية.....

أحمد: سبحان الله.. قل لي يا أستاذ راضي ألم يحدث أن واجهت الأستاذ صالحاً أو بعضاً من معارفه؟!..

محمد: كلا.. فقد خرجت من دنيا هؤلاء ولم أعد أفكر إلا في شيء واحد هو العمل والاستزادة من المعرفة.

أحمد: لكنك شقيت كثيراً..

محمد: وتعلمت كثيراً أيضاً..

أحمد: قل لي يا عزيزي.. ألم يحدث أن دخل اليأس إلى نفسك؟ ألم تشك يوماً برعاية الله لك؟

محمد: أستغفر الله.. كل شيء إلاهذا.. كنت كلما أحزنني أمر من الأمور وضاقت بي الدنيا أعود إلى قول الله تبارك وتعالى "وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155)

أحمد: بارك الله عليك..

محمد: ثم أقول في نفسي: احمد الله يا محمد أنه قد اختبرك في نقص المال والثمرات وحسب ولكنه أعطاني الصحة والأمل والإيمان.. ووعدني بحسن الجزاء على الصبر. وفي وقت آخر أقول لنفسي: إن لك في رسول الله قدوة حسنة.. فقد نشأ صلى الله عليه وسلم وواجه في حياته بلاء الفقر وشقاء العمل فاستعان بالصبر الجميل..

أحمد: الحقيقة يا محمد أن نعمة الصبر النابعة من الإيمان بالعناية الإلهية هي من أعظم النعم..

محمد: ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعودة إلى روح هذا الدين الذي تغشو عيون المؤمنين إليه كما يغشو المسافر إلى ضوء الكواكب وهو يقطع المفازات في ساعات الليل. كنت أشهد في هذا الماضي ما يشهده الساري في ضوء الكواكب الثابتة..

أحمد: حسن.. فماذا صار إليه أمرك بعد التقائك بزميل الدراسة عبد الرحمن؟

محمد: ألا تريحني قليلاً يا عزيزي أحمد؟

أحمد: صدقت.. تستريح قليلا ثم نعود معاً إلى الموضوع. " يسمع جرس تليفون "..

محمد: " يرفع السماعة " ألو.. نعم هو هنا.. حسن... سأخبره حالاً.. " يعيد السماعة "..

أحمد: لعلي أنا المطلوب..

محمد: أنت مطلوب في مكتبك فهناك ضيف ينتظرك..

أحمد: أوه.. تذكرت.. لقد ضربت موعداً لكبير مفتشي وزارة التربية.. حسن يا أستاذ محمد.. سنتلاقى مرة أخرى..

موسيقى نهاية.....